المبدأ 17

اطمر جمراً حارقاً تحت رماد بارد..

المغزى:

حينما تتبدل الأوضاع وحدهم الأقوياء يعرفون كيف يديرون أشرعتهم باتجاه الريح التي تهب كي لا تتمزق أشرعة سلطتهم بعناد الرأي والاتجاه المعاكس، في بعض الاستسلام قوة عظيمة تُعطي الفرصة لاستعادة عافية أو تعويض خسارة أو وقتاً لالتقاط الأنفاس والمعاودة من جديد. فما معنى معركة أو تضحية من أجل شرف ومجد إن كنت لا تستطيع أن تكسب من ورائه شيئاً أو تخسر من جرائه الكثير؟ هذا التراجع المدروس مع بعض القوة أفضل بكثير من الإقدام المتهور والسقوط في الهاوية. ليبق ماثلاً في ذهنك أن الذين يحاولون أن يُظهروا سلطتهم بشكل استعراضي يمكن أن تخدعهم بسهولة خطة الاستسلام، ذلك أن إشارتك

obeikandl.com

الظاهرية بالخضوع لهم تجعلهم يزهون بنصرهم ومع لحظات انتشائهم بالنصر يصبحون أهدافاً سهلة لهجوم معاكس. وزّع سلطتك على الزمن فلا تضحي بالقدرة على المناورة لأن ما يُوقعنا في المتاعب غالباً هو التسرّع في رد الفعل المفرط على تحركات منافسينا، لذا عندما يدفعك شخص ما في المرة القادمة وتجد نفسك إزاء ردود مفترضة حاول أن:

- لا تعاند.
- لا تقاتل بشراسة حتى آخر نفس.
- استكن واصبر وأظهر شيئاً من التراجع الوهمي.

فالاستسلام المبدئي هو جزء من خطة أكبر كي تسيطر على الموقف بكامله. قد تجد ذلك صعباً يرفضه كبرياؤك خاصة عندما تكون في أعين الآخرين «عظيماً» ويتوقعون منك رد فعل صاعق، ولكن ألا تعتقد بأنه إذا أدرت خدك الأيسر بعد صفعة على الخد الأيمن سيدير ظهره منتشياً؟ في هذه اللحظات ـ ما هو موقفك كقوي ـ تكون أنت قد استجمعت قوة قدمك وترفسه الرفسة الموجعة حينما يستدير. وهذا هو جوهر الاستسلام التكتيكي.

المثال

تخبرنا كارلا عن علاقتها بزوجها بالقول: «تزوجنا عن علاقة طيبة، إنه متعلم، مثقف، تتألق بيننا مساحات من الاحترام

obeikandl.com

المتبادل، حينما نكون معاً نعرف معنى المرح والسعادة، ولكن فجأة أمام الناس في أي مجتمع يقل حديثه معي، يتجاهلني، الأزواج يجلسون بجانب زوجاتهم إلا هو يبحث عن مقعد بعيد عني، إذا جاءت مناسبة حديث أو كلام عن مهارة سيدات بمسألة معينة، يتبارى الأزواج في الثناء على زوجاتهم وتتبارى الزوجات في مدح أزواجهن بينما هو يبقى ساكتاً، حاولت كثيراً أن ألفت نظره بالقول: لن تخسر إنها مجرد مجاملة علنية أو شهادة إعلان سعادة يقدمها الزوج لزوجته أمام الحضور أو العكس تقدمها الزوجة لزوجها.. إلا أنه يخالفني الرأي ويقول: هؤلاء يمدحون بلسانهم فقط، لا تظني أنهم سعداء فعلاً، ولو كان حقيقة لما أفرطوا في المديح. حاولت إقناعه بأنه شيء رائع أن ننتهز الفرصة كي نقدم مجاملة، إلا أنه استنكف.»

قد يكون زوجها محقٌ في توصيفه للآخرين، وقد يكون صادقاً في مشاعره تجاه زوجته وهي التي تعترف بأنهما حينما يكونا معاً يشعران بالسعادة، لكن يبدو ما بينه وبينها أكبر من الحب الظاهري، لا حاجة لتمثيله رومانسياً أمام الناس، وإذا كانت الزوجة ترى في الأحرف والكلمات أداة تعبير فلدى أزواج كثيرين الصمت هو الأبلغ في التعبير..

مشكلة كارلا أنها لا تريد أن تسمع الكلمة فحسب بل تريد أن ترى وجوه الناس لحظة سماعها، ومشكلة زوجها أنه ليس مضطراً أن يقول

شيئاً أمام الناس لا يريد قوله.. إنه لا يرغب أن يتيح للناس أن يتفرجوا عليه وهو يثني أو يمدح أو يشكر أو يجامل أو يدلل.. لأن المشاعر لا تُقدّم كيفما اتفق وإلا أصبحت خالية من أي معنى، نقطة الخلاف بين الاثنين هو في مسألة «الإعلان عن المشاعر أمام الناس» ولكن ما هو واضح أن الزوج يطمر جمراً حاراً من العاطفة والمودة والألفة تحت رماد الصمت والسكوت، لم يعاند، لم يمالق، لم يماثل الآخرين، لكنه كان يستكين وينتظر الفرص - في الموقف والزمن - للبوح بالحب والتقدير اللازمين، وهذا هو التراجع التكتيكي أمام الآخرين والذي لم تدركه الزوجة.

الملخص:

ضبط النفس، رباطة الجأش، التروي، مهارات أساسية في لعبة الشد والمواجهة، والاستسلام الآني «تكتيك قوة» يضعك في بعض الأحيان في أفضل مراكز النفوذ والسلطة على حساب الانزلاق المفاجئ لمن ينافسك.

المرادف:

- عندما يمر الإقطاعي المتغطرس فإن فلاحه العاقل ينحني له بعمق ولكن «يضرط» عليه.

(مثل حبشي)

▪ ليس سهلاً على الإنسان أن يكون ماكراً وفاتناً في آن، وقليلون ينجحون بذلك بعد سن السادسة.

▪ ▪ ▪

obeikandl.com